المواساةُ عِنْدَ الْفَقْدِ

1446/1/27

﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

الْحَمْـدُ للهِ الْأَحَـدِ الصَّـمَدِ،

خَـــالِقِ الْوَالِـــدِ وَالْوَلَـــدِ،

جاعِـلٍ لِكُـلِّ شَـيْءٍ عُمُـرًا

يُعَـدُّ، قَضَـى سُـبْحانَهُ بِفَنـاءِ

كُـلِّ حَـيٍّ، فَلَـنْ يَبْقَـى وَالِـدٌ

وَلَا وَلَـــدٌ، وَلَا يَـــدُومُ فَقْـــرٌ

وَلَا رَغَـــدٌ، وَسَـــنُرَدُّ جَمِيعًـــا

إِلَى مَلِيـــكٍ مُقْتَـــدِرٍ، وَيُـــدْرِكُ

كُـــلُّ زارِعٍ مـــا حَصَـــدَ،

وَأَشْـــهَدُ أَنْ لَا إِلَـــهَ إِلَّا اللهُ

وَحْـــدَهُ لَا شَـــرِيكَ لَـــهُ، أَمَـــرَنَا

بِالصَّـــبْرِ وَإِنْ نَفَـــدَ، وَأَشْـــهَدُ

أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ

وَرَسُولُهُ إِمَامُ الصَّابِرِينَ،

أَدَّبَهُ رَبُّهُ وَزَكَّاهُ، وَجَعَلَ

الْقُرْآنَ خُلُقَهُ وَهُدَاهُ،

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ

الميامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ

بِإِحْسَانٍ وَإِيمَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النساء: 100].

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا مَتَاعٌ وَكَبَدٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ وَالْأَبَدِ.

أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ: ﴿تَبَٰرَكَ
ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ()
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ
وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: 1-2]،

والْحَمْدُ للَّهِ عَلَى كُلِّ
حالٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
حالِ أَهْلِ النَّارِ، نَبِيُّنا ﷺ
ما تَرَكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا دَلَّنا
عَلَيْهِ وَمَا تَرَكَ مِنْ شَرٍّ إِلَّا
نَهانَا وَحَذَّرَنا مِنْهُ، قالَ
ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ

مِنَ الْوَلَدِ، فَاحْتَسَبَهُمْ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ جابِرٌ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ. قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: أُرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ (وَاحِدٌ) لَقَالَ: وَاحِدٌ)؟

قَالَ: وَأَنَا -وَاللَّهِ- أَظُنُّ ذَلِكَ».

[أخرجه أحمد 3/306(14336) والبُخَارِي في (الأدب المفرد) 146].

وَما الْمالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدائِعُ ***

وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدائِعُ

حُكْــمُ الْمَنِيَّــةِ فِي

الْبَرِيَّــةِ جــارِي***

مــا هَــذِهِ الــدُّنْيا

بِدارِ قَرار

وَالــــــــنَّفْسُ إِنْ

رَضِــيَتْ بِــذَلِكَ

أَوْ أَبَتْ***

مُنْقــادَةٌ بِأَزِمَّــةِ

الْأَقْــدارِ

مِـنْ أَعْظَـمِ الْفَقْـدِ فَقْـدُ
الْوَلَـدِ؛ فَلْـذَةُ الْكَبِـدِ وَثَمَـرَةُ
الْفُـؤَادِ، لَا يُطِيقُهـا، وَلَا
يَصْـبِرُ فِي فِتْنَتِهـا وَابْتِلائِهـا
إِلَّا مَـنْ مَـنَّ اللَّهُ عَلَيْـهِ
بِالثَّبـاتِ وَالْيَقِـينِ، وَأَفـاضَ
عَلَـى نَفْسِـهِ إِيْمـانًا وَصَـبْرًا

وَاحْتِسَابًا، فَنَحْنُ
مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ، مُدَبَّرُونَ
تَحْتَ
أَمْرِهِ، وَتَصْرِيفِهِ، فَلَيْسَ
لَنَا مِنْ أَنْفُسِنا
وَأَوْلادِنا، وَأَمْوالِنا
شَيْءٌ، وَرَبُّنا أَرْحَمُ بِنا

مِـــــــنْ أَنْفُسِـــــــنا وَأُمَّهاتِنـــا، فَتَـــدْبِيرُهُ كُلُّـــهُ خَـــيْرٌ لَنـــا وَإِنْ لَمْ نَشْـــعُرْ بِذَلِكَ.

عِبـــادَ اللَّهِ: الـــدُّنْيا لا تَنْفَـكُّ عَـنِ ابْـتِلاءٍ، ولَنَـا فِي كِتـــابِ رَبِّنـــا عِـــلاجٌ

لِمَصائِبِ الدُّنْيا، لَقَدْ

أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي

كِتابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ

ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ

مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ

وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ

ٱلصَّـــٰبِرِينَ () ٱلَّـــذِينَ إِذَآ
أَصَـــٰبَتۡهُم مُّصِـــيبَةٞ قَـــالُوٓاْ
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡـــهِ رَٰجِعُـــونَ
() أُوْلَٰٓئِـــــكَ عَلَـــــيۡهِمۡ
صَـلَوَٰتٞ مِّـن رَّبِّهِـمۡ وَرَحۡمَـةٞۖ
وَأُوْلَٰٓئِـــــكَ هُـــــمُ
ٱلۡمُهۡتَـــدُونَ ﴿ [البقـــرة: 155-

157]. وَيَقُولُ سُبْحانَهُ:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: 31].

وَقَدْ جَعَلَ سُبْحانَهُ عَظِيمَ الْأَجْرِ مَعَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَالِاحْتِسابِ

عِنْـــدَ المصـــائِبِ، وَمَـــنْ
سَـخِطَ وَجَـزِعَ فَلَـيْسَ لَـهُ
إِلَّا السَّـــخَطُ، وَلَـــنْ يُغَـيِّرَ
مِـــنْ أَقْـــدارِ اللَّهِ شَـــيْئًا؛
فَوَجَـــبَ عَلَيْنـــا الصَّـــبْرُ
وَالتَّسْـلِيمُ وَالرِّضَـا بِقَضـاءِ
رَبِّنـــا، بَـــلْ وَالْحَمْـــدُ،

فَسُـــــبْحانَهُ وَحْـــــدَهُ

المسْـتَحِقُّ لِلْحَمْـدِ عَلَـى

كُـلِّ حـالٍ، فَمَـنْ وُفِّـقَ

لِلصَّـــبْرِ فِي مِثْـــلِ هَـــذِهِ

الْمَواقِـــفِ الْأَلِيمَـــةِ كـــانَ

داخِـــــلًا فِي الْمُـــــؤْمِنِينَ

الصَّـــــابِرِينَ، الرَّاضِـــــينَ

بِقَضَاءِ رَبِّهِمْ، الْفَائِزِينَ
بِالْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ،
وَأُولَئِكَ لَهُمْ: ﴿صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيِ الثَّنَاءُ
الْحَسَنُ وَالْمَغْفِرَةُ مِنَ
اللَّهِ لَهُمْ، وَالْعِصْمَةُ مِنَ
الْمَعْصِيَةِ، وَالتَّوْفِيقُ

لِلطَّاعَـةِ، وَتَتَنَـزَّلُ عَلَـيْهِمُ
الرَّحَمـاتُ الْعَظِيمَـةُ، وَمِـنْ
هَـذِهِ الرَّحَمـاتِ: تَـوْفِيقُهُمْ
لِلصَّـبْرِ الَّـذِي اسْـتَحَقُّوا
بِـــهِ كَمـــالَ الْأَجْـــرِ،
وَكَشْـــفُ الْكُـــرَبِ فِي
الـدُّنْيا وَالْآخِـرَةِ، وَقَضـاءُ

حَـــوائِجِهِمْ، وَاسْـــتَحَقُّوا

مَحَبَّةَ اللَّهِ لَهُمْ بِما صَبَرُوا

﴿واللَّهُ يُحِـــــــــــبُّ

الصَّـــابِرِينَ﴾، وَاسْـــتَحَقُّوا

مَعِيَّـــةَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَـــعَ

الصَّـــابِرِينَ﴾، ثُمَّ كَمُـــلَ

فَضْـــلُ اللَّهِ عَلَـــيْهِمْ:

﴿وَأُولَـــــئِكَ هُـــــمُ

الْـــمُهْتَدُونَ﴾؛ لِأَنَّهُـــمْ

عَرَفُـوا الْحَـقَّ فَـآمَنُوا بِـهِ،

وَاتَّبَعُـــــوهُ، وَعَمِلُـــــوا

بِمُقْتَضـاهُ، وَكـانَ صَـبْرُهُمْ

بِشـارَةً لَهُـمْ بِالْأَمْـنِ مِـنْ

عَـذابِ الـدُّنْيا وَالْآخِـرَةِ،

وَالْفَـــــوْزِ بِـــــدُخُولِ

الْجَنَّـــةِ ﴿أُوْلَئِـــكَ يُجْـــزَوْنَ

الْغُرْفَـــــــةَ بِمَـــــــا

صَـــــــبَرُوا﴾[الفرقـــــان:75]،

وَيُعْطَـــوْنَ أَجْـــرَهُمْ بِـــلَا

حِســـابٍ وَلَا حَـــدٍّ وَلا

عَـــدٍّ ﴿إِنَّمَـــا يُـــوَفَّى

الصَّـــابِرُونَ أَجْـــرَهُم بِغَـــيْرِ

حِسَابٍ﴾[الزمر:10].

اِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ

الْمَصائِبَ مَكْتُوبَةٌ فِي

اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ أَنْ

يَخْلُقَ اللَّهُ الْخَلْقَ قالَ

تَعالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِن

مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي
أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللهِ يَسِير () لِكَيْلا
تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا
يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞

وَقالَ رَسُولُ [الحديد: 22-23]، اللهِ ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»

[أخرجه مسلم].

فَكُلُّ ما يُصِيبُ الْعَبْدَ

يَقَعُ بِقَضاءِ اللهِ

وَقَدَرِهِ، وَقَدْ سَبَقَ ذَلِكَ

فِي عِلْمِهِ

سُبْحانَهُ، وَجَرَى بِهِ

قَلَمُهُ، وَنَفَذَتْ بِهِ

مَشِيئَتُهُ، وَاقْتَضَتْهُ

حِكْمَتُـــهُ، فَـــإِذَا عَلِـــمَ

ذَلِـــكَ الْعَبْـــدُ المـــؤْمِنُ

اطْمَـــأَنَّ قَلْبُـــهُ عِنْـــدَ

المصـــائِبِ، وَرَزَقَـــهُ اللهُ

الثَّبَـــــاتَ عِنْـــــدَ

وُرُودِهـــــا، وَالْقِيـــــامَ

بِمُوجِـــــبِ الصَّـــــبْرِ،

فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ ثَوابٌ عاجِلٌ، مَعَ ما يَدَّخِرُهُ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

عِبادَ اللهِ: إِنَّنا أَنْفُسَنا وَأَهْلَنا وَأَمْوالَنا وَأَوْلادَنا وَكُلَّ ما حَوْلَنا مِلْكٌ للهِ

عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةً، وَقَدْ
جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَنا
عارِيَةً مُسْتَرَدَّةً، نَتَمَتَّعُ بِها
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذا
أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا اسْتَوْدَعَهُ
عِنْدَنا أَوْ أَخَذَهُ كُلَّهُ فَلَهُ
سُبْحانَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: 41]،

فَلِلْمُعِيرِ أَنْ يَسْتَرِدَّ عَارِيَتَهُ مِنَ المسْتَعِيرِ مَتَى شاءَ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ وُجُودَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنِ عَدَمٌ قَبْلَهُ

وَعَدَمٌ بَعْدَهُ، ثُمَّ تَأْتِي
الْحَياةُ الْأَبَدِيَّةُ الْجَنَّةُ أَوِ
النَّارُ، فَلَسْنا مَنْ أَوْجَدَ
الْأَشْياءَ مِنْ عَدَمٍ، وَلَسْنا
مَنْ يَحْفَظُها مِنَ النُّقْصانِ؛
لِذَلِكَ لَسْنا مُلَّاكًا لَها
عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَمْلِكُها

وَيَتَصَرَّفُ فِيها الَّذِي
أَوْجَدَها مِنَ الْعَدَمِ،
وَيَحْفَظُها مِنَ النُّقْصانِ.

جَمِيعُ الْخَلْقِ حَتْمًا
مُقْبِلُونَ فُرَادَى عَلَى
رَبِّهِمْ، كَما خَلَقَهُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ، قَدْ قَضَى بذلك

رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي

ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا () لَّقَدْ

أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا

() وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ

ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: 93- 95]، وَقَالَ سُبۡحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام:94]،

فَكَيْـــفَ لِعَبْـــدٍ هَـــذِهِ

بِدايَتُـــهُ وَنِهايَتُـــهُ وَحَقِيقَـــةُ

وُجُـــودِهِ أَنْ يَطِـــيرَ قَلْبُـــهُ

فَرَحًـــا بِمَوْجُـــودٍ، أَوْ أَنْ

يَجْـــزَعَ لِمَفْقُـــودٍ؟! فَمِـــنْ

أَعْظَـــمِ مـــا تُعـــالَجُ بِـــهِ

المصـائِبُ أَنْ يَعْلَـمَ الْعَبْـدُ

عِلْـــمَ الْيَقِـــينِ حَقِيقَـــةَ عُبُودِيَّتِـهِ، وَأَنَّ مـا أَصـابَهُ لَمْ يَكُـــنْ لِيُخْطِئَـــهُ، وَمـــا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى

بَشَاشَتُهُ ***

يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي المالُ وَالْوَلَدُ

لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزَ يَوْمًا خَزَائِنُهُ***

وَالْخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمانَ إِذْ تَجْرِي

الرِّياحُ لَهُ***

وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَها

تَرِدُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ

نَوافِلُهَا***

مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْها وَافِدٌ يَفِدُ

حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَدَرٍ***

لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَلَنا فِي سِيرَةِ نَبِيِّنا ﷺ

عِلاجٌ لِلْمَصائِبِ

نَبِيُّنا ﷺ مِنْ أَشَدِّ الْأَنْبِياءِ بَلاءً، وَقَدْ تَحَمَّلَ ﷺ ما تَنُوءُ بِهِ الْجِبالُ، وَمِنْ ذَلِكَ: ماتَتْ زَوْجَتُهُ حَبِيبَتُهُ وَمُؤَيِّدَتُهُ، خَدِيجَةُ

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها، وَماتَ
عَمُّهُ أَبُو طالِبٍ، ثُمَّ قُتِلَ
عَمُّهُ حَمْزَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ،
وَمُثِّلَ بِجُثَّتِهِ فِي أُحُدٍ، ثُمَّ
ماتَ أَوْلادُهُ كُلُّهُمْ
صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، ذَكَرُهُمْ
وَأُنْثاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاحِدًا

تِلْوَ الْآخَرِ، فَما كانَ لِقَضاءِ رَبِّهِ إِلَّا صابِرًا مُحْتَسِبًا رَاضِيًا.

دَخَلَ الصَّحابَةُ مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِبْرَاهِيمُ وَلَدُهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسولِ اللَّهِ ﷺ

تَذْرِفَانِ، فَقالَ لَهُ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ
اللَّهُ عنْه: «وَأَنْتَ يا رَسُولَ
اللَّهِ؟ فَقالَ: يا ابْنَ عَوْفٍ
إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا
بِأُخْرَى، فَقالَ ﷺ: إِنَّ
العَيْنَ تَدْمَعُ، والْقَلْبَ

يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما
يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ
يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»
وَفِي الْحَدِيثِ [أخرجه البخاري]،
الْقُدْسِيِّ: «عَنْ أَبِي
مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ
رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا

مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ
تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ
وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ:
نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ
فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.
فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟
فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ

وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اِبْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». [أخرجه أحمد (415/4، رقم 19740)، والترمذي 341/3، رقم 1021) الألباني في السلسلة الصحيحة 3 / 398].

أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَتُحِبُّهُ؟

فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا
أُحِبُّهُ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ،
فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَمَا
يَسُرُّكَ أَنَّهُ لاَ تَأْتِي بَابًا مِنْ
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحُهُ،
إِلاَّ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى
يَسْتَفْتِحَهُ لَكَ؟!، فَقَالُوا:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَكُمْ عَامَّةً». [أخرجه أحمد 436/3(15680) والنَّسائي 22/4، وفي الكبرى 2009].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّهَا قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا

مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا

مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟! أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» [صحيح على شرط مسلم].

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنا بِما فِيهِما مِنَ الْآياتِ وَالْحِكْمَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا.. وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِيْ قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِيْ أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُوْلُهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيْقِهِمْ وَاقْتَفَى.

أَمَّا بَعدُ عِبادَ اللهِ: وَلَنا فِي قَصَصِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ المصائِبِ عِبْرَةٌ

لَمَّا ماتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطَرِّفٍ، خَرَجَ أَبُوهُ (مُطَرِّفٌ) عَلَى قَوْمِهِ فِي ثِيابٍ حَسَنَةٍ، وَقَدِ ادَّهَنَ، فَغَضِبُوا، وَقالُوا لَهُ: يَمُوتُ وَلَدُكَ ثُمَّ تَخْرُجُ فِي ثِيابٍ مِثْلِ هَذِهِ مُدَّهِنًا؟! فَقَالَ

لَهُمْ: أَفَأَسْتَكِينُ لَها؟!

(يَعْنِي مُصِيبَةَ مَوْتِ ابْنِهِ)،

لَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي تَبارَكَ

وَتَعالَى ثَلاثَ خِصالٍ،

كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيرٌ

مِنَ الدُّنْيا وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ

الدُّنْيا وَما فِيها .. قالَ

اللهُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾
هَذِهِ الْأُولَى، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾
هَذِهِ الثَّانِيَةُ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾ هَذِهِ الثَّالِثَةُ.

بَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما مَوْتُ بِنْتٍ لَهُ، وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَاسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: عَوْرَةٌ سَتَرَها اللَّهُ، وَمَئُونَةٌ كَفَاهَا اللَّهُ، وَأَجْرٌ سَاقَهُ اللَّهُ. ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ

الطَّرِيـــقِ وَصَـــلَّى، ثُمَّ انْصَـــرَفَ وَهُـــوَ يَقْـــرَأُ: ﴿وَاسْـــتَعِينُوا بِالصَّـــبْرِ وَالصَّـــلاةِ﴾، وَقـــالَ: قَـــدْ صَـــنَعْنا مـــا أَمَـــرَنا اللّٰهُ تَعالَى بِهِ.

بَلَـغَ الشَّـافِعِيَّ رَحِمَـهُ اللّٰهُ،
أَنَّ عَبْـــدَ الـــرَّحْمَنِ بْـــنَ
مَهْـدِيّ مـاتَ ابْـنٌ لَـهُ،
فَجَـــزِعَ عَلَيْـــهِ جَزَعًـــا
شَـــدِيدًا فَبَعَـــثَ إِلَيْـــهِ
الشَّـــافِعِيُّ، رَحِمَـــهُ اللّٰهُ: يا
أَخِـي عَـزِّ نَفْسَـكَ بِمـا

تُعَـــزِّي بِـــهِ غَـــيْرَكَ،

وَاسْـتَقْبِحْ مِـنْ فِعْلِـكَ مـا

تَسْـــتَقْبِحُهُ مِـــنْ فِعْـــلِ

غَـيْرِكَ، وَاعْلَـمْ أَنَّ أَمَـضَّ

المصـائِبِ فَقْـدُ سُـرُورٍ،

وَحِرْمـانُ أَجْـرٍ، فَكَيْـفَ

إِذَا اجْتَمَعَـــا مَـــعَ

اكْتِسـابِ وِزْرٍ؟! فَتَنَـاوَلْ
حَظَّـكَ يا أَخِـي إِذَا
قَـرُبَ مِنْـكَ قَبْـلَ أَنْ
تَطْلُبُـهُ، وَقَـدْ نَأَى عَنْـكَ،
أَلْهَمَـكَ اللهُ عِنْـدَ
المصـائِبِ صَـبْرًا، وَأَحْـرَزَ

لَنـا وَلَـكَ بِالصَّـبْرِ أَجْـرًا،

وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

إِنِّي مُعَزِّيكَ لا أَنِّي عَلَى

ثِقَةٍ***

مِنَ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ

الدِّينِ

فَمَا الْمُعَزَّى بِباقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ***

وَلَا الْمُعَزِّي وَلَوْ عاشَا إِلَى حِيْنِ

ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِإِسْنادِهِ:

لَمَّا شَعَرَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَكانَ بِأَرْضِ بابِلَ،

كَتَبَ لِأُمِّهِ مُعَزِّيًا فِي ذَكاءٍ قائِلًا: يَا أُمَّاهُ، إِذَا جاءَكِ كِتابِي فَاصْنَعِي طَعامًا، وَاجْمَعِي مَنْ قَدِرْتِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَأْكُلْ طَعامَكِ مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ. فَلَمَّا وَصَلَ كِتابُهُ صَنَعَتْ

طَعامًا عَظِيمًا، وَجَمَعَتِ
النَّاسَ، وَقالَتْ: لا يَأْكُلْ
هَذَا مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ.
فَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ إِلَى هَذَا
الطَّعامِ، فَعَلِمَتْ مُرادَ
ابْنِها، فَقالَتْ: بُنَيَّ، مَنْ
مُبَلِّغُكَ عَنِّي أَنَّكَ وَعَظْتَنِي

فَاتَّعَظْتُ وَعَزَّيْتَنِي فَتَعَزَّيْتُ فَعَلَيْكَ السَّلامُ حَيًّا وَمَيِّتًا.

[ابن الجوزي: تسلية أهل المصائب صـ20،21].

قِيلَ ماتَ ابْنٌ لِداوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: يا دَاوُدُ ما كانَ يَعْدِلُ

هَذا الْوَلَدُ عِنْدَكَ؟ قالَ: كانَ يَعْدِلُ عِنْدِي مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا. قالَ: فَلَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدِي مِلْءُ الْأَرْضِ ثَوابًا. [تسْلِيَةُ نُفُوْسِ النِّسَاءِ والرِّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الأطْفَالِ: للحافظ عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ رَجَبٍ ص 16].

كانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ صَبُورًا، أُبْتُلِيَ فِي يَوْمٍ واحِدٍ بِقَطْعِ رِجْلِهِ وَمَوْتِ وَلَدِهِ، فَما زادَ عَلَى أَنْ قالَ مُخاطِبًا رَبَّهُ: "لَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ كُنْتَ

أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ".

[مختصر تاريخ دمشق 275/5].

رَوَى الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ:

لَمَّا تُوُفِّيَ ذَرُّ بْنُ عُمَرَ

الْهَمَدانِيُّ، غَسَّلَهُ أَبُوهُ

وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ، ثُمَّ

رَفَعَ يَدَيْهِ باكِيًا، وَقالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ وَعَدْتَنِي
الثَّوابَ إِنْ صَبَرْتُ، اللَّهُمَّ
ما وَهَبْتَهُ لِي مِنْ أَجْرٍ
فَاجْعَلْهُ لِذَرِّ صِلَةً مِنِّي،
وَتَجاوَزْ عَنْهُ، فَأَنْتَ أَرْحَمُ
بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ
وَهَبْتُ لِذَرِّ إِساءَتَهُ، فَهَبْ

لَهُ إِساءَتَهُ، فَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنِّي وَأَكْرَمُ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَدُمُوعُهُ تَقْطُرُ عَلَى لِحْيَتِهِ.

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ

ماؤُها * * *

وَلَـكِـنَّــها رُوحٌ تَسِـــيلُ

فَـــتَقْــطُرُ

فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ: "يا ذَرُّ قَدِ انْصَرَفْنا وَتَرَكْناكَ، وَلَوْ أَقَمْنا ما نَفَعْناكَ، وَرَبَّنا قَدِ اسْتَوْدَعْناكَ، وَاللّٰهُ يَرْحَمُنا وَإِيَّاكَ".

عِبادَ اللّٰهِ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّنا بِقَدَرٍ وَأَجَلٍ

مُسَمَّى، فَلْيَصْبِرْ مَنْ
أُصِيبَ بِفَقْدِ عَزِيزٍ
وَلْيَحْتَسِبْ، نَسْأَلُ اللهَ
الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
أَنْ يَرْحَمَ مَوْتَى المسْلِمينَ،
وَأَنْ يُكْرِمَ نُزُلَهُمْ وَيُوَسِّعَ
مُدْخَلَهُمْ وَيَغْسِلَهُمْ مِنْ

خَطاياهُمْ بِالماءِ وَالثَّلْجِ
وَالْبَرَدِ، وَيُنَقِّيهِمْ مِنَ
الذُّنُوبِ وَالْخَطايا كَمَا
يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ
الدَّنَسِ، وَيَعْفُوَ عَنْهُمْ
وَعَنَّا أَجْمَعِينَ، وَيُعامِلَهُمْ
بِالْحَسَناتِ إِحْسانًا

وَبِالسَّيِّئاتِ عَفْوًا وَغُفْرانًا،
وَيَتَقَبَّلَهُمْ فِي الصَّالِحِينَ،
وَيَجْعَلَ قُبُورَهُمْ رَوْضَةً مِنْ
رِياضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُبْدِلَهُمْ
دُورًا خَيْرًا مِنْ دارِهِمْ وَأَهْلًا
خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِمْ، اللَّهُمَّ
إِنَّهُمْ فِي حِرْزِكَ وَجِوارِكَ

فَقِهِمْ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذابَ
النَّارِ، اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِيهِمْ
نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ،
وَاجْمَعْهُمْ بِأَهْلِهِمْ فِي
مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ فِي
الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ
الْجِنانِ، مَعَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ

وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا، اللَّهُمَّ أَلْهِمْ

أَهْلَهُمُ الصَّبْرَ وَالسِّلْوانَ،

وَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ.